# الأثر النفسى والاجتماعى من تعريب التعليم

للدكتور يوسف عزالدين

**ليس** تعريب التعليم أمرا سهلا ، أو قضية بسيطة الحل بعد أن مر العرب بمرحلة صويلة من التأخر العلمى ، والجمود الفكرى .

إنه مشروع ضخم من مشاريع الحضارة العربية الحديثة ، ويظهر خطره باتساع الميدان وتشعب الجذور ، واختلاف المصادر ، ولا بد لدراسة هذا المشروع ، والنهوض بأعبائه الكبيرة من أن نخطط ا تخطيطاً كاملا وأن نلم بجوانبه المتشعبة ولاسيما الجانب الاجتماعى والأثر النفسى بعد أن سبقنا العرب فى ميـــدان التقنية العلمية بأعمـــال ضخمة ومنجزات مثمرة فى النمو والتطور.. وسيطرت على نفوسنا شدة البهر والانبهار وفقدنا الثقة بالنفس على مجاراته بما نراه كل يوم من المخترعات ونقرأ عن تطور الفكر والعلم ولاسيما العلوم والمعرفة والتجارب المادية الكثيرة التى دخلت فى حياتنا اليومية بالمستحدث الجديد وأثر فى عقولنا بالاتجاه الحضارى الغربى دون وعى أو تمحيص .

وأخشى أثر هذه الحضارة فى نفوسنا التى رقها التمزق الفكرى حتى عدت اللغات الأجنبية ومصطلحاتها سمة الرجل الذى يدعى العلم والثقافه فدخلت هـــذه اللغات فى الكتب والمقالات والحديث اليومى .

وراء الطين بلة اختلاف الأقطار العربية فى وضع المصطلحات العلمية والترجمة المتبايمه فى لغة العلوم .

فالتخطيط ضرورة لوضع حد لهذا الاختلاف. والمنهج هو الذى سيقف حائلا دون الفوضى اللغوية والتضارب الفكرى ويحول دون الانفصام اللغوى والقلق الفكرى والحيرة البيانية التى تأتى من اختلاف الآراء وتشعب القواعد وتباين المناهج فى الأقطار العربية .

## التعريب فى العراق :

وقد قام العراق بوضع خطط لتعريب التعليم الجامعى وعقد عدة ندوات ، وقد

---

( * ) ألقى البحث فى الجلسة التاسعة ٧ / ٣ / ١٩٨٥ م .

طبعت محاضرها ومن أبرز هذه الندوات ( مؤتمر تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى الذى عقد فى بغداد ما بين الرابع من شهر آذار والسابع منه سنة ١٩٧٨ ) .

وقد حضره عدد من الأساتذة والمختصين من أكثر الأقطار العربية كالكويت والأردن والمغرب والخرطوم ولبنان وتونس ودمشق وصنعاء وأبى ظبى والجزائر وجامعة بيرزيت وقد حرمت الندوة من حضور القاهره بسبب القطيعة السياسية المعروفة

وقد كان صدر قرار بالبدء فى تعريب التعليم العالى فى العراق من حزيران ١٩٧٨ وبدأت العلوم تدرس باللغة العربية فى الصفوف الأولى وأجل التعريب فى كليتى طب الأسنان والطب البيطرى ، على أن يطبق التعليم باللغة العربية من أول سنة ١٩٨٠ الاردن .

وقد حدثنى الزميل الفاضل الدكتور عبد الكريم خليفة بأن عملية التعريب فى الأردن تسير مسيرة جيدة

**تونس :**

وفى تونس يمثل المجلس العلمى ( للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ) جهودا مشكورة فى تنظيم حركة الترجمة وأنشأت معهدا باسم ( المعهد الوطنى للترجمة الأدبية والعلمية ووضع المصطلحات ) .

**عوامل النجاح :**

إن عملية تعريب التعليم لا بد أن يضمن لها أهم مقومات النجاح ، ولعل من أعمق هذه المقومات قبول التعريب نفسيا من المجتمع والطالب والأستاذ، وخلق الاستعداد النفسى وزرع الثقة باحترام اللغةالعربية، وأنا أعرف عن أحد الأقطار العربية أن الموظف إذا كلمته باللغة العربيه اثور عليك بعد أن أصبحت اللغة الفرنسية جزءا من الحياه الاجتماعيه وأخذ الطفل يتعلمها ويتحدث بها لأن أمه ترى بأن الحديث بالفرنسيه سوف يجلب لابنها الاحترام . .ومن اصعب التلاؤم الروحى والرضا النفسى عند هذا الإنسان . . يتكلم بها العامل والملاح والحمال .

وقد سرت بين المجتمع نظرة غير محترمة لمعلم اللغه العربيه ، فقد كان يقال للطالب المحقق أتريد أن تكون معلم لغة عربية ثم إن بعض الأقطار العربية تدفع لمدرس اللغة العربية أجرا أقل من أجر مدرس العلوم والرياضيات ويفضل مـــدرس العلوم والرياضيات ، فى السكن على مدرس اللغة العربية الذى يقف آخر الصف ويكون آخر من يحصل على السكن .

وحدثنى أحد الزملاء أنه سافر إلى قطر عربى فوجد استعداداً نفسيا للحديث بالفرنسية لأنها لغة عالية متحضرة وهذا ما دعا أبناء الشعب إلى التشبث بالفرنسية والدفاع عنها .

وبالمقابل نجد أن اللغة الفرنسية كانت مستعملة فى مدارس دمشق ولاسيما الطب ولما انفصلت عن الدولة العثمانية أخذ أساتذة الطب يتعلمون العربية ويستعيضون فى كتابة المحاضرات بأساتذة العربية ، لأن الثقافة كانت تركية، فتعلب هؤلاء على اللغة الأجنبية عندما ترجموها إلى العربية ووضعوا لها المصطلحات وهذا ما وحدناه فى رمس محمد على باشا وقد أشار إليه أستاذنا الدكتور مذكور فى اليوم الأول من هذه الدورة

إن الاستعداد النفسى عند شعب من شعوب العرب وتمسكهم بالجذور العربية هو الذى عرب التعليم فى سوريه . . وأخره عند شعب آخر . مازال يحب فى تعلم لغته .

لذلك أرى أن أهم مقومات النجاح هى

١ — توفير الكتب العلمية ومصادر البحث والمراجعة باللغة العربية لطلاب العلوم ، بعد أن كثرت هذه الكتب فى اللغات الأجنبيه وتتبع فروع العلوم بسبب المحارب العلميه وتطور التقنية والمخترعات والاكتشافات وتطور الحضاره السريع فى معاهد العرب العلميه .

٢ — إعداد الأساتذة إعدادا نفسيا ليكون الأستاذ قادرا على تدريس العلوم الصرفة لاسيما الطب والهندسه والصيدلة باللغة العربية لأن كثيرا من الأساتذة تعلموا علومهم باللغات الأجنبية وتعمقت فى نفوسهم الثقه باللغه الأوربية واستمروا على القراءة والمحاضرات بها واتسعت الهوه بين العلوم واللغة الأجنبيه التى أتقنوها .

٣ — إن العامل النفسى الذى أسلفت التحدث عنه من أهم العوامل المؤثره فى نشر التعليم باللغة العربية ، لأن خلق الاستعداد النفسى والاجتماعى فى تقبل الدراسة باللغة العربية ضروره من ضرورات الإبداع وخلق الثقة بقابلية العربيه فى استيعاب العلوم الحديثه وهضم الحضاره الحديثه لتكوين وحده روحية تزرع الثقه العميقه بأصالة اللغة العربيه والاعتداد بالتراث الإسلامى وبالتالى إعادة الثقة بقابلية الطالب العربى والاعتداد بالمستوى العلمى للأستاذ .

إن العامل النفسى ضرورى لكسب تفهم الدارسين ، والمدرسين وإقناعهم بأهميه ما يقومون به ، وإن تعليم العلم الصرف باللغة العربيه يحفظ مستقبلهم ويصون مصيرهم ويطور حضارة الأمه العربية .

وقد تكون بدايه هذا الإقناع عاطفيه الجذور . لأن المشاعر ذخيره متنامية تخلق المواقف الكثيره وتؤثر فى حياه المجتمع العربى وسياسته العامة وأرجو ألا يقتصر الإقناع الروحى على الطالب والأستاذ إنما لا بد من إقناع الرأى العام ليؤثر بدوره فى جو التعليم كله ويرى بأن التعليم باللغه العربية لا يختلف عن التعليم باللغات الأجنبيه وهى مرحلة صعبة .

ولعل من المعول عليه أن يمتد الإقناع إلى أصحاب التوجيه الإدارى والعمل

التشريعى لضمان مواقف الدول العربية لإصدار التشريع المناسب الذى يحقق نجاح مشروع التعريب .

وتذكرون أننا عقدنا فى العراق اجتماعا للمجامع العربية وحضر بعضكم إلى بغداد وسعدنا بالحضور إلى مجمعكم الموقر ، لكن موقف الدول العربية حالت دون أن تستمر الفكرة الرائدة التى كنا ننشدها من اجتماع المجامع الثلاثة فى كل عاصمة عربية .

إن بعض المشرفين على التربية فى الأقطار العربية وبعض الأساتذة ، يظن أن إلقاء المحاضرات باللغة العربية تحط من قيمته الجامعية ولاتعطيها الطعم العلمى لأنه تذوق التعليم باللغة الأجنبية وألف الكلمات العربية وأصبحت أداته السهله فى التعليم وقد درس بها وكتب بحوثه بمصطلحاتها . وأصبحت جزءا من كيانه الروحى وفكره العلمى وابتعد عن اللغة العربية ، ولم تعد لغته العربية تفى بما يدور فى فكره العلمى من آراء ومصطلحات ، لأن اللغات تؤثر بعضها فى بعض وقد مر أكثرنا بمثل هذه التجربة عندما درسنا فى الغرب وألفنا اللغه الأجنبية وأحسسنا بحلاوة كلماتها فآثرت فى اللغة الأجنبية اللغة العربية مع أننا درسنا اللغة العربية إلى مرحلة متقدمة ، فلا لوم على المختصين الذين يذهبون صغارا للدراسة فى الغرب . وبرغم صعوبة اقناع هؤلاء ، فمن الضرورى كسب جانبهم للتدريس بلغتهم بإقناعهم نفسيا .

ومن مظاهر هذا الابتعاد عن اللغة ، التبرير النفسى بصعوبة ترجمة اللغة العلمية إلى اللغة العربية وانعدام المصطلحات والكلمات الدقيقة فيها ، لأن الأستاذ فى تبريره لا يريد أن يحس بأنه لايقدر على التدريس بلغته العربية بدوافع نفسية عميقة ، منها الوطنية والقومية ونظرة المجتمع إليه بأنه ضعيف لايعرف غير اللغة العربية . فيحلق التبرير النفسى لإرضاء الذات الاجتماعى وإقناع اللاشعور بما يعمل .

ولعل بعض الأساتذة لا يقدر على ملاحقة المواد العلمية وحقائق المخترعات الجديدة ومصطلحاتها وقد يكون بعيدا عن المنهج العلمى والدراسة الموضوعية لضعف فى اللغة والعلوم التى تخصص فيها .

إن بعض الأقطار التى ما زالت تدرس بالفرنسية والإنكليزية وخلقت طبقة من المتعلمين ، عدت مؤثرة فى اتجاهات التربية فمنعت هذه الطبقة باللغة العربية حفاظا على مصلحة الطبقة التى تمثلها . وقد ورثت هذه الطبقة امتيازاتها من الأجنبى الذى كان قد فرض لغته على تلك الأقطار وأصبح المتكلم باللغة العربية أقل مقاما من أولئك الذين يتكلمون لغة المستعمر ، وبذلك خلقت عقدة الشعور بالنقص بالنسبة للغة العربية ، وخير سبيل أن تقابل هذه العقدة بالإقناع النفسى ، ومتى حلت هذه العقدة النفسية واقتنع هؤلاء بأن اللغة العربية

لغتهم ولغة تراثهم وأن التحدث بها مبعث فخر واعتداد بالنفس، سيذهب عنهم الخوف على طبقتهم ويأمنون على مصالحهم وينمحى إحساسهم بتفوق العلم الغربى ولغته . وسوف يسهمون فى حركة التعريب

إن من يرى اللغة العربية غير قادرة على الوفاء بالتعريب لا لوم عليه، لأن كل عمل جديد وكل نقله حضارية تكون مجهولة النتائج تخيف القائمين عليها . إن الخوف من التجديد والتطور سنة الكون فالقديم يحاول الحفاظ على قديمه ويقف أمام التيار الحديث ولكن الإقناع ورسم صورة واضحة للمستقبل سوف تقنع هؤلاء وتتخلص من الموقف السلبى وسوف تساير الركب .

**الكتاب :**

إن الشكوى التى يرتكز عليها الخائفون من التعريب ويبررون عدم التدريس بها علاوة على العامل النفسى الداخلى وعدم وجود الكتاب باللغة العربية وقلة المصادر التى يعتمد عليها الباحث والطالب ، تلك حجة صحيحة وصادقة ،ولكن إذا آمن هؤلاء بأن تعريب التعليم واجب من الواجبات الوطنية والقومية وأنه ضرورى للتطور الحضارى فلابد أن يسهموا فى إعداد الكتاب الذى يلائم المستوى العلمى الذى يسير فى هديه الطلاب .

وقد برهنت اللغة العربية منذ تأسيس دار العلوم والجامعة المصرية ثم كلية الطب فى دمشق ومدرسة الحقوق والهندسة فى بغداد، على قابلية اللغة العربية فى كثير من العلوم وقد هضمت اللغة العربية كل المصطلحات بسهولة ، فقد رأيت كتبا فى الطب العام والتشريح والهندسة والكيمياء والفيزياء فى زمن محمد على باشا وقد ترجمت هذه الكتب واستوعبت مصطلحات الطب والهندسة والكيمياء والجغرافيا . وقد ترجمت كتب الطب والكيمياء ووضع لها المصطلحات ورموز الكيمياء بالعربية وأجريت التجارب العلمية وكتبت نتائج هذه التجارب فيها وفى (يعسوب الطب ) أدق الشواهد واوضح البراهين ويمكن للباحث أن يجد فى الكتب الطبية التى ترجمها الطبيب محمد بدر أفندى فى علم الأمراض الباطنية والطبيب أحمد أفندى نددا ( مدرس علم المواليد الثلاثة ) بالمدرسة الطبية والطبيب محمد شافعى فى ( أحسن الأغراض فى التشخيص ومعالجة الأمراض ) سيطرة العربية وقوتها فى إيصال العلول الطبية إلى الطلاب .

إذا كانت اللغة العربية فى بداية الترجمة والاحتكاك باللغات قادرة على وضع كتب العلوم باللغة العربية ، فلاشك فى أنها قادرة بعد التطور الحضارى والفكرى من أن تستوعب لغة العلم وتضع كتبا متطورة اليوم وقد درسنا كتبا فى الفيزياء والكيمياء والهندسة والعلوم الصرفة باللغة العربية ولا بد أن الدراسة فى الجامعات ستسير فى هذا الطريق وتصل إلى ما وصلت إليه الجامعات الأجنبية فى التدريس بلغاتها .

إن وضع الكتاب باللغة العربية والشعور بقدرتها على استيعاب هذه العلوم وبالتالى نتخلص من عقدة النقص التى استولت على بعض الدارسين .

ويقدر الطالب على فهم العلوم بسهولة ويسر ، ومتى استوعب الطالب علومه وهضمها وفهم مصطلحاتها سوف يكون قادرا على الاختراع والاكتشاف والإبداع عندما يصل إلى مرحلة من التعليم كافية لأن فهم القواعد العلميه الأول ضروريه للتطور والتجديد ونقيس بأن الطالب اليابانى والروسى والصينى لم يبدع أو يكتشف ويطور العلوم إلا بعد أن درس العلوم بلغته القوميه وأحس بالسيطره على هذه العلوم والاستفادة منها .

إن وجود كتاب باللغة القوميه أول أســس القواعد النفسية التى تعــدى الطالب بالثقة بقــدراته لأنها تمكنه من فهم الحرئيات العالميه ، وبالتالى تمكنه من الإبداع . فبعد أن فهم اليابانى لغته العلم عكف على مخترعات الغرب وطورها ونافس أصحابها فى عقر ديارهم ، بل اكتشف ما لم يخطر ببال الغرب من الأمور الدقيقة والحرئيات الصغيره التى لم يصل إليها العرب بعده

**الطالب :**

متى أصبح الأستاذ مقتنعا نفسيا بضرورة التعريب وأمن بأنه يقوم بعمل قومى ووطنى وأعدت الكتب . وترجمت المصادر ، سيكون تدريس الطالب أمرا سهلا ونقضى على العامل النفسى

إن التعريب لن يبعد الطالب عن الأستاذ ويضع حاجز اللغة بينهما بعد أن وضعت المصطلحات وكتبت الكتب بأسلوب عربى مبين :

وقد لاحظت من خلال تتبعى للتعليم فى زمن محمد على باشا مقدار الجهد الذى بذله المشرفون لإيصال العلوم إلى أفكار الطلاب . فقد كان الأساتذة لا يعرفون اللغة العربية ، وكان المترجمون لا يعرفون إلا اللغة العامية المصرية وكان منهم الطليان والفرنسيون ولم يأتوا القرن العشرون ، بعد أن كثر الذين يعرفون اللغة الأجنبية وتوفر ما ترجم وما وضع من معجمات — حائلا دون فهم الطالب ولن يجد صعوبة فى التعريب ؛ فقد سهلت المعجمات والترجمة على الطالب العلم وفهم النظريات الحديثة التى تعلم قواعدها الأولية فى الثانوية ، وسيجد أن لغته العربية قادره على إيصال العلم إليه . وعندما يدرس العلوم الصرفه فيها سيكون قادرا على الفهم ورفع مستواه العلمى والفكرى وبالتالى سيقود هذا الفهم إلى الإبداع كما حدث فى اليابان وروسيا والصين

**ختاما :**

إن التعبير باللغة العلمية سوف يعمق الأصالة الفكرية وأرجو ألا يقف التعريب

عند ترجمة البحوث ووضع المصطلحات إنما أرجو أن يكون أداة صادقه للإبداع فإذا ساعدت اللغة اللاتينية اللغات الأوربية فى وضع المصطلحات لتقارب محارجهـا ووحدة جذورها ، فاللغة اليابانية بعيدة كل البعد عن اللاتينية وفى اللغة العربية يساعدنا الاشتقاق والسوابق واللواحق على تطور المصطلح العلمى وتوحيده

إن ما ورثناه من مصطلحات العلوم التى وضعها الرواد المسلمون فى البحث العلمى مثل أبى بكر الرازى فى (الحاوى) وماكتبه عن (محنة الطبيب) و(الجدرى) وابن سيناء فى (القانون) وابن البيطار فى (جامع مفردات الأدوية والأغذية) والحسن بن الهيثم فى (الضوء) وجابربن حيان فى علم الكيمياء والفارابى والخوارزمى والمجريطى والبيرونى وغيرهم من العماء والمفكرين الذين تعرفونهم جميعاً ، حافز لنا فى وضع أسس التعريب الحديث .

إن وحدة اللغة العلمية سوف تكون ركيزة للوحدة الفكرية، تحافظ على الهوية العربية وتحد من التمزق اللغوى،الذى بدأ يسرى فى اللغة العلمية مع أن اللغة العربية هى لغة جميع العرب ومن أصالتها يستمدون حاضرهم اللغوى وبالتالى سيكون الفكر العربى موحدا علميا ويمكن الاستفادة المباشرة من جهود العرب الحديثة فى الإكتشاف العلمى ويشاركون العالم فى صنع الحضارة بعد أن بذلت المجامع العربية جهودا كبير فى تيسير المصطلح وصقله وجاء جيل جديد تعلم الأجنبية وأتقنها .

**الوسائل :**

وأخيرا أتمنى لتحقيق هذه الغاية أن :

١ — تؤلف لجنه عربية مختلفة الاختصاص تشمل العلوم الصرفه والعلوم الإنسانيه يكون عملها قاصرا على الترجمة واختيار أمهات الكتب التى صدرت فى اللغات الأجنبية وما ستصدر فى المستقبل وأن تخصص جانبا من نشاطها على ترجمه المقالات التى تصدرها المجامع العلمية واللغوية والمعاهد المتخصصه وتوزع مع الكتب على جميع ذوى الاختصاص ومواكبة التطور العلمى فى جميع أنحاء الدنيا المتحضره وهذا العمل هو الذى اختصر الهوه بين علماء العالم برغم الاختلاف السياسى وتباين العقائد فى الشرق والغرب ، وادى بالتالى إلى تبادل المعلومات العلميه بين أمريكا ودول أوربا وإلى إزالة الفوارق اللغوية والتغلب على الاختلاف الفكرى وتقريب وجهات النظر فى الإختلاف الذى سببه اختلافهم السياسى .

٢ — جمع المصطلحات الحديثة التى تضعها المجامع والمؤسسات العلمية والجامعات وتوزيعها على جميع مصادر وضع المصطلحات الحديثة ، لإقرار ما اتفق عليه الذوق العام .

٣ — إصدار مجلات علمية متخصصة لاستعمال المصطلحات الجديدة وقد سبقنا إلى هذه فى العصر الحديث العاملون على محلة (يعسوب الطب) و(روضة المدارس) وأوائل أعداد جريدة (الوقائع المصرية) وفى العراق (لغة العرب) على ضيق فى المال

وقلة العلماء والمترجمين ولا يمكن أن يقتصر العرب اليوم — بما لهم من أموال ومن كثرة فى الأساتذة ووفرة المترجمين والمختصين — على مجاراة الرواد الأوائل .

٤ — تشجيع البحث العلمى بإعداد شباب فى الدراسات العليا يوقفون بحوثهم على على جهود العرب فى العصر العباسى وعصر محمد على لدراسة لغة العلم فى هذه الحقب وحصر المصطلحات العلمية التى استعملت فى كتب العلوم الصرفة بصورة خاصة والعلوم الإنسانية بصورة عامة .

٥ — القضاء على الانفصام الفكرى الذى بدأ ينتشر بين العرب فى فهم لغة العلوم وإقناع الأساتذة بضرورة التعريب لأنه من أهم أسس الأصالة العلمية للأمة وتطوير حضارتها وغرس الثقة بقدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الحديثة والتأكيد على أن الروابط التاريخية والوطنية والقومية تقوم على وحدة اللغة التى تنى الجسور بين الشعوب العربية وتعمق الصلات الروحية والحضارية بينهم . بعد أن أثر هذا الانفصام فى كثير من اتجاهات المفكرين المعاصرين ، بعد التمزق الداخلى للأمة العربية الذى حال دون وحدة الفكر والمصالح المشتركة :

٦ — ضرورة توحيد التشريع لتعريب التعليم باللغة العربية ، وقد سبق مجلس قيادة الثورة فى العراق إلى وضع هذا التشريع وطبق فى الجامعات العراقية ولا بد أن الأقطار العربية الأخرى فعلت ما فعل العراق . وآخر ما صدر قرار من الملك فهد بضرورة استعمال اللغة العربية فى جميع المملكة العربية السعودية

إن تعريب التعليم لا بد أن يكون متكامل الأهداف ليصل إلى وحدة فكرية ولغوية ولن يصل إلى حد النجاح ما لم يكن هناك رابط نفسى يسوق هذا العمل الكبير وأن يكون له مركز يوجه هذه الأعمال الكثيرة ويتابع تطبيق ما تضعه الجهات العلمية من مصطلحات وترجمات وتعريب .

وان تخدم القرارات التشريعية وحدها الهدف الكبير ، ما لم يساندفكريا ، يؤمن الجميع بأن التعريب يقرر مصير اللغة العربية المعاصرة ومستقبل الأمة كلها ، وسوف يأخذ الأمة إلى مستوى علمى راق لتواكب الحضارة الغربية ، بعد أن سبقنا العرب بمراحل واسعة

أرجو من الله التوفيق وأن يأخذ بيد العرب نحو أسمى هدف من أهدافها فى وحدة فكرها ولغتها ومصيرها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**يوسف عز الدين**
عضو المجمع المراسل من العراق